ملطية ثغر الجزيرة الأول

أ. د. طه خضر عبيد
أستاذ التاريخ العباسي
قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة الموصل

١. المقدمة

كانت مدن الثغور، مدن جهاد وفتح، ومعسكرات حربية أول الأمر، وتحولت الى مراكز إدارية ومدن استقرار، اختيرت مواقعها ومواضعها بمواصفات دقيقة، عززهما التحصين والاستحكامات الدفاعية المتينة طبلة القرون الثلاث الأولى للهجرة، فصمدت بوجه الأخطار البيزنطية، وحققت الأهداف من قيامها على حدود الدولة العربية الإسلامية، وانطلقت من دروبها الحملات ضد بيزنطة، ولقيت مكانة خاصة عند الخلفاء، وظهر فيها قادة اشتهروا بشجاعتهم وإصرارهم على مقاومة الأعداء، ولم تسلم ملطية من محاولات بيزنطة بالسيطرة عليها، وبخسارتها حلت المصيبة بهذه الأطراف، وكانت بداية خذلان حلت بالثغور .

وكانت ملطية المدينة العظمى في مدن الثغور الجزرية، وبلغت أهميتها السوقية " الإستراتيجية " الحربية والتجارية على مر عصور الدولة العربية الإسلامية، في عصر الراشدين والأمويين والعباسيين، ولم تغب يوما عن اهتمام الحكومة المركزية في تقويتها وشحذ همم المقاتلين، وصورة مشرقة لمدن العرب المسلمين في ثغورهم .

٢. موقع ملطية Melitene (*)

مدينة قديمة بناها الاسكندر المقدوني، وسماها البيزنطيون ملتين Melitene(١)، واتخذت مركزا لقصبة أرمينية الثانية سنة ٤١٣ م (٢)، وفي عهد الإمبراطورين هرقل وجستنيان ٥٨٠– ٦١١م، ألحقت الى أرمينية الثالثة، عدها مؤرخو بيزنطة قلعة قوية حصينة ومحطة عسكرية مهمة (٣)، وتقع على نهر الفرات الأعلى، على الطريق التجاري والعسكري بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية في منطقة الثغور، عند طرسوس وعربسوس وشميشاط، وبنود قبادوقيا وأرمينية، وقد مرت بهذا الطريق معظم الحملات العسكرية والقوافل التجارية (٤)، وبذلك تشكل مفتاحا لآسيا الصغرى .

يقع سهل ملطية في جنوب المجرى الأدنى لنهر قباقب " تخما صو " Tokhma- Su "، ويقابل ملطية بندي خرشنة وخالدية البيزنطيين (٦)، وتحيط الجبال بالمدينة (٧)، وفيها الكثير من أشجار الثمار، وهي غنية بالميرة، وتعتمد في زراعتها على مياه العيون والأودية من الفرات لأنها اقرب إليه (٨).

وفي العصور الإسلامية، أصبحت ملطية من اجل مدن الثغور وأكبرها، واشتهر سكانها بالشجاعة والقوة فهم " اشد الناس باسا في الروم وقوة في الحرب " (٩)، وتنسب ملطية الى ثغور الجزيرة، وتسمى بثغر الجزيرة الأول أو الكبير، بل أنها أعظم مدن الثغور في هذه الجبهة دون جبل اللكام (١٠)، ويعود انسابها الى الجزيرة، " لان أهل الجزيرة هم الذين يرابطون فيها وينفرون إليها، ولأنها من الجزيرة التي لأهلها الدفاع عنها لقربها منهم " (١١).

٣. ملطية في العصرين الراشدي والأموي

وضعت ملطية في أول انطلاقة الفتح العربي الإسلامي، احد الأهداف التي توجهت إليها الأنظار، ففي سنة ١٧هـ/٦٣٩م فتحت من دون إبقاء حامية فيها (١٢)، كونها بعيدة عن ولاية الشام نوعا ما، وعندما استمر الفتح في اتجاهات أخرى بقيت على هذا الحال حتى ولاية معاوية بن أبي سفيان للشام والجزيرة، فأرسل إليها سنة ١٩-٢٠هـ/ ٦٤١-٦٤٢م، حملة أخرى، قادها قائد الحملة الأولى والعارف بأوضاعها، حبيب بن مسلمة، ففتحها عنوة، وأبقى فيها رابطة من المسلمين ثم عين عليهم عاملا (١٣) . وهذا أول اهتمام عسكري بملطية، ويعد جزءا من الخطة العسكرية التي شملت الثغور كلها، والواقعة قريبا من الفرات وشميشاط وملطية وقاليقلا، وعزز معاوية ذلك ببناء حصون في مرعش والحدث وإنطاكية بين الخطين الساحلي على البحر المتوسط والنهري على الفرات (١٤).

تحولت ملطية الى ثغر أمامي متقدم في هذه المدة وانطلقت منها الحملات الحربية ضد البيزنطيين، وسميت بطريق الصوائف، أو درب ملطية، لأنه لم يكن في هذه المدة درب عدا منفذ الأبواب القليقية عند سهل طرسوس، إذ كان الدفاع عنه ممكنا وسهلا من الناحية الطبيعية (١٥). وبذلك أضاف درب ملطية قوة الى قوة العرب المسلمين، وشحنت هذه المدينة بقوة من أهل الجزيرة والشام (١٦).

واستمرت ملطية حصينة وقوية وبعيدة عن أطماع بيزنطة وهجماتها، طيلة المدة الأولى من الحكم الأموي، ويعود ذلك الى قوة الأمويين العسكرية، وضعف بيزنطة وانشغالها بأوضاعها الداخلية والتي بدأت بخسران الكثير من مواقعها في البر والبحر على جبهة

الأمويين، ولا شك أن البيزنطيين كانوا يرقبون بحذر أوضاع الأمويين وإمكانية انتهاز الفرصة واستغلال الظروف الصعبة عند الأمويين للهجوم على ملطية واستعادتها، ففي سنة ٧٠-٧١هـ/ ٦٨٩-٧٠١م هجموا على المدينة، واجبروا سكانها على الرحيل، وهدموا مبانيها، ثم تركوها مدمرة وخرجوا منها (١٧)، ويفسر عدم بقاء جيشهم فيها والاحتفاظ بملطية، لان بيزنطة أدركت مسبقا أنها لا تستطيع الاحتفاظ بها، ولذلك أقدمت على تخريبها وتركها، وجاءت الأيام لتؤكد هذه الحقيقة، وعندما تفرغ الخليفة عبد الملك بن مروان ٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م، من شؤون الدولة الأموية الداخلية، وجه اهتمامه الى الثغور، وبخاصة ملطية، التي حظيت بالاهتمام الكبير، وكانت البداية، معالجة الوضع الناشيء عن خراب ملطية ومرعش وهروب السكان منهما (١٨)، تلك المعالجة السريعة والمنظمة والتي لم تقتصر على أعمار ما خرب ودمر، بل اختار مواضع متقدمة في عمق الأراضي البيزنطية وأمام ملطية، لتحل محل ملطية ومرعش كنقاط تعرض أمامية ضد الخطر البيزنطي الدائم، فاختار حصون طرندة والمصيصة التي تبعد عنها ثلاث مراحل داخل الأراضي البيزنطية (١٩)، واستعادت المدينة وضعها الطبيعي بعودة سكانها الفارين منها، وكان معظم سكانها الذين بقوا فيها بعد الخراب من أهل الذمة، من الأرمن والقبط والنصارى (٢٠).

أكمل الخليفة الوليد بن عبد الملك ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٤-٧١٥ م في السنوات ٨٧، ٨٨، ٩٣ هـ / ٧٠٦، ٧٠٧، ٧١١م، خطة أبيه في تحصين ملطية والاهتمام بها، لتكون نقطة خلفية لطرندة، وتعززت قوة الأمويين على خط الفرات (٢١)، غير أن طرندة تعرضت سنة ٩٩هـ/ ٧١٧ م لهجوم بيزنطي أدى الى رحيل أهلها مكرهين الى ملطية (٢٢)، وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٣م وسع نطاق البناء في ملطية سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م وسحب إليها رابطة طرندة الدفاعية واشرف الخليفة بنفسه على إتمام البناء (٢٣)، وأدرب منها الخليفة بإرسال مسلمة بن عبد الملك الى قيسارية الروم فافتتحها سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م.

تعرضت ملطية لأخطر هجوم بيزنطي في العصر الأموي سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م وبلغ عدد المهاجمين قرابة عشرين ألف مقاتل بيزنطي، نزلوا على ملطية المسورة، فأغلقت المدينة أبوابها للدفاع عن نفسها، وخرجت النساء على السور، وقاتلن الأعداء الى جانب الرجال، وتمكن احد سكانها من الخروج من الجهة الجنوبية للمدينة، مستنجدا بالخليفة هشام بن عبد الملك، والمقيم في رصافة الشام، وقد خرجت القوة البيزنطية منها، وأرسل الخليفة رابطة

من الفرسان حال خروج البيزنطيين منها، ثم خرج بنفسه لاحقا، وعسكر فيها وأتم بناءها (٢٤).

وتكاد تنقطع أخبار ملطية في السنوات العشر الأخيرة من الحكم الأموي، ويعود ذلك الى انشغال الأمويين بأوضاعهم الداخلية وقوة الدعوة العباسية، وبذلك ننتقل الى المرحلة الثانية من أوضاع ملطية في العصر العباسي، والذي اتسم بالاهتمام المتزايد بها وعظمت شهرتها.

٤. ملطية في العصر العباسي

استغلت الدولة البيزنطية انشغال العباسيين في بداية حكمهم بتثبيت أركان دولتهم، لتهجم على الثغور، ومنها ملطية، فقد قاد الامبراطور قسطنطين الخامس ٧٤١- ٧٧٥م هجوما، تركز على كمخ سنة ١٣٣هـ/ ٧٥١م، كونه حصنا متقدما لثغور الجزيرة، وفي الحال استغاث أهل الحصن بمن جاورهم من العرب المسلمين، ومنهم سكان ملطية ومقاتليها، الذين خرجوا بقوة متكونة من ثمانمائة فارس مسرعين لتلبية النداء، فابعدوا الخطر البيزنطي(٢٥). وأثار موقف الملطيين بنجدتهم لإخوانهم حفيظة الدولة البيزنطية، مما حدا بالإمبراطور نفسه أن يتوجه الى ملطية سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م مستغلا الوضع غير المستقر في الجزيرة بسبب الفتنة فيها (٢٦)، ووقع عدد من سكانها أسرى وسبايا بيد البيزنطيين ونقلوهم الى منطقة تراقية على الحدود البيزنطية – البلغارية، وتفرق باقي السكان من العرب المسلمين الى الجزيرة وهدمت مبانيها وسورها (٢٧). لم يترك الخلفاء العباسيون ملطية الخربة لقمة سائغة للبيزنطيين، بل عادوا مسرعين إليها، وأعادوا إليها اعتبارها، وذلك بالاهتمام بالثغور عامة، وبملطية خاصة، وشهد عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٨م، والذي يعد واضع أساس النظام الثغري، اهتماما بالغا، وكان نصيب ملطية كبيرا، لأنها كانت في طليعة المدن التي بناها المنصور، عندما أمر سنة ١٣٩هـ/٧٥٦م، قائده صالح بن علي العباسي ببناء ملطية وتحصينها وإسكانها، وتولى في هذه المدة، عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام ولاية الجزيرة وثغورها، فشرع ببناء ملطية (٢٨).

وقد سبق البناء وضع خطة سوقية " إستراتيجية " ترتبط بالاستقرار في هذا الثغر المهم، ومن خلال استعراض مدن الثغور وبنائها نجد، أنها لم تكن من الأمور المرتجلة، وإنما كانت ثمة شيء من التنظيم، منذ أول شروع للعرب المسلمين في وضع العلامات على

الأرض، وتخطيط واختيار الفعلة من كافة الأقاليم، ورصد الأموال الكافية، وإحضار العمال، وتحديد مدة الإنجاز .

واتسم بناء ملطية بأنه متدرج ومحكم لتحقيق الأهداف من البناء : -

- إرسال قوة عسكرية بقيادة الحسن بن قحطبة الطائي، اشهر القواد العرب المشهورين بجنده النظاميين " أربعة آلاف " والمتطوعين من الشام والجزيرة، وقدر عدد هذه القوة بحدود سبعين ألف رجل، وهذا الحشد الكبير كان لتامين الحماية لبناء المدينة (٣٠).
- نقل العمال من البنائين والمهندسين من أقاليم الخلافة كافة، واختيار الفعلة بهذه الطريقة له بعده السوقي " الإستراتيجي " العسكري والأمني، وتوفير الأموال للأنفاق على البناء (٣١).
- كانت مواد البناء من الحجر، فاحكم بناء المدينة واستحكاماتها، وهذا يعني أنها مدينة وجدت لتستمر وتقاوم بدرجة تتناسب وأهميتها، ولأنها كانت عرضة لهجمات الدولة البيزنطية (٣٢).
- استخدام أسلوب جديد في البناء، بمشاركة القائد وجنده والتسابق بين العمال للإسراع في العمل، ورصدت مكافأة للمجدين منهم (٣٣).
- بلغت مدة البناء ستة اشهر حتى أتموها، وهذا يعكس سعة المدينة وكبرها وطبيعة استحكاماتها، ولنجز البناء في الصيف لتستقبل ساكنيها مباشرة (٣٤).

أما بخصوص تخطيط المدينة واستحكاماتها الداخلية – فيبدو انه فضلا عن التحصين الطبيعي " الجبال والانها ر " وسهولة الدفاع عنها، توافرت لها الحماية البشرية التي عززت قوتها، وكان مركز المدينة المسجد الجامع، وقربه الأسواق، ورتبت المحلات السكنية على شكل خطط خاصة بالجند الساكنين من السكان القدامى، أو الجدد والذين بلغ عددهم أربعة الاف مقاتل من الجزيرة لأنها من ثغورهم وقريبة منهم (٣٥)، وكان البناء الخاص بالمقاتلين يعرف بـ " العرافات " (٣٦)، وأحيطت المدينة بسور متين واحد أول الأمر، وسكنت المدينة أعداد من قبائل العرب (٣٧). ومن اجل تقوية دفاعاتها وزيادة استحكاماتها الحربية، أنجزت بعض الأعمال الأخرى والمرتبطة ببناء المدينة وتقع خارجها ومنها :-

- بناء مسلحتين، احدهما أمام ملطية وعلى بعد ثلاثة أميال أمامها، والثانية على نهر قباقب الذي يصب في نهر الفرات، وتكمن أهمية هذه المسالح في أنها نقاط إنذار مبكر، ونقاط ومواقع صدامية أمامية، وقوة إشعار مسبق ولمراقبة تحركات الجيش البيزنطي،

ويبدو لنا كم كانت ملطية من الأهمية بنظر الخلافة العباسية عندما استحدثت حصن منصور، وبناء حصن أمامي آخر في قلوذية (٣٨).

جاءت المرحلة الثانية من إقرار الاستراتيجية العسكرية التي تتناسب وهذه المدينة، ولأجل تحقيق أهداف بنائها، أقدمت الخلافة العباسية على إجراءات تشجيع استقرار الناس فيها وإسكانهم من خلال الإجراءات المركزية الآتية :

- زيادة العطاء، عشرة دنانير لكل رجل، وتقديم معونة مئة دينار لبناء مسكن للمقاتل بنفسه، ما عدا ما يحصل عليه من الغنائم .
- تخصيص أراضي زراعية لاستثمارها، من اجل ربط المقاتل بالأرض، وتتمع ملطية بسهل زراعي واسع وخصب، فشجع على الاستثمار .
- إرسال المقاتلين على شكل حاميات، وقوات نظامية لتحقيق الأمان لمن يستقر فيها من الناس، والذي تسميه مصادرنا بـ " شحن الثغور " (٣٩).

وبمرور الزمن أصبحت ملطية المدينة الثانية بعد طرسوس الشامية من حيث الأهمية والحجم، وبلغ سكانها قرابة عشرة الاف نسمة، منهم أربعة الاف مقاتل عند استكمال بنائها (٤٠).

حاول البيزنطيون أثناء بناء ملطية جس نبض الخلافة العباسية من اجل محاولة الوصول الى ملطية بهجوم كبير، إلا أنهم أحجموا عن ذلك بعد أن تبين لهم حجم القوة المرابطة فيها وسكانها الذين توافدوا إليها واستقروا بها .

تحولت ملطية الى مصدر خطر يزعج الدولة البيزنطية ويحد من أطماعها، فانطلقت من ملطية أولى الحملات العباسية سنة ١٤١هـ/٧٥٧م بقيادة محمد بن إبراهيم العباسي، وعاد إليها مرابطا (٤١).وقد حققت هذه الحملة أهدافها على صعيد الخلافة العباسية، عندما فتحت الأبواب الواسعة لعودة ما تبقى من سكانها الهاربين الى الجزيرة بعد خرابها عام ١٣٨هـ/٧٥٥م، وكذلك بعد معرفتهم بالأوضاع المشجعة لعودتهم، فضلا عن أن هذه والحملات اللاحقة، جعلت من ملطية دربا معروفا للصوائف (٤٢).وعدت ملطية من الثغور الجزرية المهمة في العصر العباسي، ولم يتجرا البيزنطيون على مهاجمتها إلا في خلافة الرشيد في سنة ١٨٥-١٨٧هـ/٨٠٠-٨٠٢م، مستغلين انشغال الخليفة في القضاء على البرامكة (٤٣)، ولم تستطع بيزنطة من دخولها، ويبدو أن بيزنطة كانت تريد من ذلك الهجوم معالجة أوضاعها المتدهورة في البنود المقابلة لملطية، وبعد تفرغ الخليفة هارون الرشيد من

مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية

أموره الداخلية سنة ١٨٧هـ/٨٠٢م عاد للاهتمام بالثغور وبخاصة ملطية، وقاد حملاته ضد الدولة البيزنطية لإيقاف تهديدها للثغور (٤٤)، وفي عهد الخليفة المأمون ١٩٨ – ٢١٨هـ / ٨١٣ – ٨٣٣م قاد العباسيون حملة سنة ٢١٥هـ/٨٣٠ م من ملطية الى العمق البيزنطي (٤٥).

٥. دور الأمير عمرو بن عبد الله الاقطع السلمي

استقر العرب في ملطية في العصر العباسي، لا سيما القبائل العربية المعروفة بشجاعتها وقوتها، وبرز احد أفراد قبيلة بني سليم هو عمرو بن عبد الله الاقطع السلمي الذي كان، قائدا بطلا وأميرا شجاعا، أدار شؤون الثغور الجزرية قرابة ثمانية وعشرون عاما، ٢٢١-٢٤٩هـ/ ٨٣٥-٨٦٤م ، (٤٦)، ويصفه المسعودي (٤٧)، بأنه كان صاحب ملطية وأميرها، ولم ير مثله في الثغور الجزرية، اشد إقداما على مقاتلة الروم البيزنطيين،ويعده الطبري (٤٨)، انه احد نابين اشجيا الروم " البيزنطيين "، والثاني علي بن يحيى الارمني والي الثغور الشامية وبعدها أرمينية قرابة أربعة عشر عاما . ولشهرة عمرو في الحروب ضد البيزنطيين عرف في مصادرهم باسم " امبرون "، واستطاع أن يجمع حوله الملطين ويقودهم لقتال البيزنطيين، وان يسرع لنصرة ونجدة مدن الثغور الأخرى، حال تعرضها لأي خطر أو اعتداء بيزنطي، فهو دائم النفير .

وقد برزت أحداث مهمة وخطيرة في عواصم الدولتين، وعلى طول جبهة الثغور، منها تدمير زبطرة ٢٢٣هـ/٨٣٧م وخرابها على يد البيزنطيين، وخروج الخليفة المعتصم بالله ٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م الى عمورية، وانتصاره لأهل زبطرة (٤٩)، واهتمام الدولة البيزنطية بحدودها وتقويتها، وبناء معاقلها في أنقرة ونقية، ومحاولاتها المتكررة للهجوم على الثغور، فضلا عن ازدياد النفوذ التركي في بغداد (٥٠)، كل ذلك اضعف الثغور فأهملتها الحكومة المركزية في بغداد، إلا في حالات استثنائية، وفي هذه الأثناء ظهر دور ملطية من جديد، ولكن على يد أميرها عمرو بن عبد الله الاقطع السلمي، الذي استطاع أن يعبر عن حقيقة قوة الثغور وصمودها، وأدى دورا مشهودا في الصراع الحربي بين الطرفين .

واجه عمرو الاقطع محاولات بيزنطة بصلابة، فانتصر على القائد البيزنطي ثيوكستوس Theoctistus سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م (٥١). فأسرعت الإمبراطورة ثيودورا الى إرسال سفرائها الى الخليفة الواثق٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١ـ ٨٤٦م في سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م تطلب الهدنة وفداء الأسرى (٥٢). وفي سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦ م قاد الإمبراطور البيزنطي

ميخائيل الثالث هجوما كبيرا، استهدف شمشاط وأمد، فنهض عمرو الاقطع بقوته يطارد المهاجمين فابعد خطرهم عن بقية الثغور (٥٣)، ولم يكتف بذلك، بل خرج بحملة بريه سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، من الملطيين لأخذ الثأر وتدمير قوة البيزنطيين، واستطاع أن يهزم الجيش البيزنطي فتوغل الى عمق بند الارمنياق، وأكمل مسيرته صوب الشمال حتى ساحل البحر الأسود، واستولى على مدن سمسون Amsus وتدعى اليوم بـ " سامبوس "، وسينوب Sinopi التي تعد من اكبر موانيء البحر الأسود في بند قبادوقيا، وتوقف عند الساحل، وكان هدفه الوصول الى قلب آسيا الصغرى، والعودة الى دياره عن طريق الأبواب القليقية، وبذلك أصبحت كل المناطق الواقعة بين بندي الارمنياق وافلاغونية مسرحا لمسيرته الحربية (٥٤)، وقد ثارت ثائرة بيزنطة، فحشدت جيشا من اجل إيقاف هذا الخطر الداهم، واعدت بيزنطة جيشا كبيرا اشرف عليه الإمبراطور ميخائيل الثالث ٨٥٦-٨٦٧م، (٥٥).

عاد الاقطع بعد ثلاث سنوات ٢٤٨هـ/٨٦٣م فدخل بند الارمنياق، وعندما علم البيزنطيين بتوغله، أمر الإمبراطور جيشه بمحاصرة الاقطع، فتحرك الجيش البيزنطي الى سهل دازيمون " توتان "، وعسكر هناك، وعند عودة جيش الاقطع من الشمال عائدا الى الطوانة والبدندون متخذا خط سيره على شاطيء نهر " الس " هبط الى سهل دازيمون واتخذ موضعا في خورناريون " Chornarion"، وكان الجيش البيزنطي قريبا منه، فنشبت المعركة وحاصر جيش الاقطع مدة من الزمن، إلا أن جيش الاقطع انسحب لقلة المؤن والماء، وعند ذلك اعترضه جيش بيزنطة من بحيرة تطا "Tatta " ونهر الس فطوق الجيش البيزنطي جيش الاقطع في موضع يعرف بـ "بوزون "Posson فاستشهد الاقطع عام ٢٤٩هـ/٨٦٣م (٥٦) . وتروي المصادر أن القائد البيزنطي بتروناس، اتخذ موضع بوزون لحصانته طبيعيا، حيث النهر من جهة ومجرى رافد نهر الس " Lalakon" من الجهة الثانية، وحاول ابن عمر الاقطع أن ينسحب بجيشه المتبقي إلا انه اسر في مضيق خرشنة، خلال انسحابه من كمين وضعه البيزنطيون، وسقط فيه ألفي رجل من العرب المسلمين (٥٧).

نستنتج مما تقدم، أن الاقطع قد شكل خطرا كبيرا على الدولة البيزنطية، بتوغله في أراضيها وانتصاراته المتلاحقة على جيشها وإمبراطورها، ولم ينته دور القائد الاقطع الى هذا الحد، بل أن استشهاده كان سببا لأحداث لاحقة، منها هجوم البيزنطيين واعتدائهم على الثغور، فخرج القائد علي بن يحيى الارمني للنفير واستشهد هو الأخر، وعندما وصلت الأخبار الى بغداد، اجتمعت العامة وطالبت الخليفة الخروج الى نصرة الثغور ونجدتها (٥٨).

٦. سقوط ملطية

لم تستطع ملطية الصمود طويلا بوجه البيزنطيين ومواصلة جهادها عقب استشهاد أميرها الاقطع، واستمر الحال حتى سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، فتعرضت لهجوم البيزنطيين وشجعهم مواقف أضعفت ملطية أكثر منها، قضاء بيزنطة على البيالصة حلفاء ملطية (٥٩)، فتمادت بيزنطة بالاعتداء على هذه الجبهة، وقام الإمبراطور باسل الأول ٨٦٧ـ ٨٨٦م بحملة استهدفت ملطية، معتقدا أن الوقت أصبح مناسبا لاحتلال ملطية هذه المرة، لا سيما وان الخليفة المعتمد ٢٥٦ – ٢٧٩هـ/ ٨٦٩ – ٨٩٢م كان منشغلا بالقضاء على حركة الزنج، فهاجم الإمبراطور شميشاط واستولى عليها، ثم اتجه الى ملطية وفرض عليها الحصار سنة ٢٥٩هـ/٨٧٢م، لكنه فوجيء بمقاومة شديدة من حاميتها وسكانها الذين الحقوا به الهزيمة، فانسحب يجر الخيبة والفشل وقتلوا احد قادته " بطارقته " نصر الاقريطشي (٦٠). وبعد عشر سنوات ٢٦٩هـ/٨٨١م، قاد الإمبراطور هجوما آخر على ملطية، وهو يدرك أنها مفتاح الطريق الى الثغور الجزرية والشامية، وفيها يتركز الدفاع عن الجزيرة، ومنها يسهل المسير الى الثغور الشامية، وما إن اقترب منها حتى تدخلت حاميات مرعش والحدث بنفير عزوم لمساعدة حامية ملطية وسكانها، واستطاعوا من صد الهجوم وإفشال خطة الإمبراطور (٦١) .

مرت ثلاثة عقود من الزمن، اتسمت جبهة ملطية بالهدوء فرضته الأوضاع الداخلية والعلاقات الخارجية في الدولتين، وغلب السلام العلاقات بين الطرفين، وفي سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م أرسلت حملة " صائفة " من ثغر ملطية قادها مؤنس الخادم الى العمق البيزنطي في بند خرشنة، وتنقطع الأخبار عن ملطيةحتى خلافة المقتدر بالله ٢٩٥_٣٢٠هـ/ ٩٠٧_٩٣٢م، لا سيما عندما نقض الإمبراطور البيزنطي المعاهدة المعقودة بينه وبين الخليفة المقتدر بالله سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، فأرسل الإمبراطور إنذارا الى الثغور، يطلب منهم أداء الخراج، أو الهجوم عليهم (٦٣)، وبعد هذا الإنذار، هاجم جيش كوركواس ٣١٣هـ/٩٢٥م مدينة ملطية، ثم كرر الهجوم مرة أخرى في سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م وحاصرها اثنا عشر يوما ففرض الخراج، وقد هب عدد من الملطين الى بغداد مستغيثين (٦٤).ولم يستطع الخليفة المقتدر بالله من تقديم أية نجدة ومساعدة لملطية لانشغاله بالقرامطة، وأخيرا اضطر أميرها وهو حفيد الاقطع أن يفاوض كوركواس، وترى المصادر انه ذهب بنفسه القائد أبي الصلت (٦٥) الى القسطنطينية وعقد معاهدة مع الإمبراطور رومانوس ٣١٦هـ/٩٢٧م، وأحس أهل ملطية بالذل، فنقض السكان الاتفاق المذكور بعد وفاة أميرهم أبي حفص، فهاجم البيزنطيون ملطية سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م وفرضوا عليها غرامة مالية كبيرة (٦٦)، لم تذكرها المصادر

باستثناء ما ذكره ابن الأثير (٦٧)، بقوله :" كان أهلها قد ضعفوا، فصالحوا الروم، وسلموا مفاتيح البلد أليهم فحكموا المسلمين " (٦٧)، غير أن الملطيين استمروا بالمقاومة، واستنجدوا بسعيد بن حمدان أمير ديار ربيعة، فنجدهم سنة ٣١٩هـ/٩٣١م، وعين عليهم أميرا من قبله، بعد أن هربت الحامية البيزنطية من ملطية (٦٨)، وظلت ملطية قوية بيد المسلمين حتى هاجمها كوركواس سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م بقوة كبيرة قدرت بعشرين ألف مقاتل، مستغلا انشغال الخلافة بمقتل المقتدر بالله (٦٩)، وهدم سورها وقصورها وقال عنها الشاعر (٧٠) :

فلا تبكين على ملطية كلما أبصرت سيفا أو سمعت صهيلا

هدم الدمستق سورها وقصورها فسمعت فيها النساء عويلا

وذكرها المتنبي فقال " مَلطية أم للبنين ثكول " (٧٠)

ولم تستسلم ملطية بسهولة، على الرغم من التدمير والخراب الذي لحقها، واستمرت تقاوم حتى سقطت بشكل نهائي سنة ٣٣١هـ/ ٩٣٤م بيد البيزنطيين الذين ظهروا في مسرح الثغور، ينهبون ويقتلون، وأصاب أهلها الذل والخذلان ولم تستطع قوتهم الذاتية أن تصمد بوجه الهجمة البيزنطية الجديدة، فسقطت مدن الثغور الواحدة تلو الأخرى، واستمرت ملطية تحت السيطرة البيزنطية الى أن حررت سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م في عهد السيطرة السلجوقية وبعد معركة ملازكرد (٧١).

الخاتمة

نستنتج مما سبق، أن مدينة ملطية العظيمة، كانت قاعدة ثغر الجزيرة في ظل الدولة العربية الإسلامية طيلة العصور الراشدة والأموية والعباسية، وأضاف لها موقعها الجغرافي أهمية على أهميتها، وأصبحت مدينة عامرة في العصر العباسي، وأدت دورا معروفا في الدفاع عن الثغور، وفي الظروف التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية بالضعف، ظهر دور أهلها وأمرائها المحليين وكان الاقطع اشهرهم، واحتلتها الدولة البيزنطية أخيرا مستغلة ظروف الضعف المحلية والمركزية، مما أصاب الثغور الخذلان بعد سقوطها .

الهوامش والمصادر :

(*) ملطية، ملاطية، تسميات لمدينة ملطية، غير إن مدينة ملاطية الحديثة تقع جنوب غرب ملطية القديمة، وعلى بعد سبعة أو ثمانية أميال، واستمرت التسمية في العصر العثماني

ولحد الآن على المدينة . اليعقوبي، احمد بن يعقوب : كتاب البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، (النجف ١٩٥٧)، ١١٤ . Ramsay, w.m. , The Historical Geography of Asia Minor (Amsterdam 1968) p. 82-83 .

١. ياقوت الحموي، شهاب الدين"عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان دار إحياء التراث (بيروت د. ت)، ٥/ ١٩٢ .
٢. Ramsay, op.cit. p. 313-31 .
٣. Ibid. p. 313 . وعن أرمينية وأقسامها، الأولى والثانية والثالثة والرابعة، ينظر : البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر : فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، النهضة المصرية (القاهرة ١٩٥٦)، ج١/ ٢٣١ .
4. Hild. F. Das Byzantinische strassan Systemin Kappadokion (Wien 1977).p.84.
وعن موقع المدينة ينظر : ألمقدسي، أبو عبد الله محمد بن احمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دي خويه، بريل (ليدن ١٩٠٦)، ١٥١ . ابن حوقل، أبو القاسم ألنصيبي : صورة الأرض، مكتبة الحياة، (بيروت ١٩٧٩)، ١٧٩ .
٥. ابن الفقيه، أبو بكر احمد بن محمد الهمداني : مختصر كتاب البلدان، نشر دي خويه، بريل،(ليدن ١٩٠٦)، ١١٤ .
٦. قدامة بن جعفر : كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تعليق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد (بغداد ١٩٨١)، ١٨٧
٧. . . ابن حوقل، المصدر السابق، ١٨٠
٨. اليعقوبي، المصدر السابق، ١١٤ . ابن حوقل، المصدر السابق، ١٨٠ .
٩. الاصطخري، أبو قاسم بن إبراهيم بن محمد : كتاب الأقاليم، نشر دي خويه، بريل، (ليدن ١٩٢٧)، ٣٤، ٤٣ . الزهري، محمد بن أبي بكر : كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق، منشورات المعهد الفرنسي (دمشق ١٩٧٠)، ٣٢٠ .
١٠. ابن حوقل، المصدر السابق، ١٨٠ .
١١. ابن حوقل، المصدر السابق، ١٦٦ .
١٢. قدامة، المصدر السابق، ٣١٧ .
١٣. ن . م، ٣١٧ .
١٤. عثمان، عبد الستار : المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة (١٢٨)، (الكويت ١٩٨٨)، ١٤٧ .

١٥. ابن خياط، خليفة خياط العصفوري : تاريخ، تحقيق سهيل زكار، منشورات وزارة الثقافة السورية، (دمشق ١٩٦٨)، ج١/ ١٧٨ .
١٦. البلاذري، المصدر السابق، ج١/ ٢٢١ . لسترانج، ك، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد مطبعة الرابطة، (بغداد ١٩٥٤)، ١٤٩.
١٧. الطبري، أبو جعفر بن جرير : تاريخ الرسل والملوك، دار الفكر، (بيروت ١٩٧٩). ج٨/١٣٠ .
١٨. البلاذري، المصدر السابق، ١/ ٢٢١ . ابن خياط، المصدر السابق، ١/ ٣٥٢ .
١٩. قدامة، المصدر السابق، ٣١٩ . ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٤/ ٣٢ .
٢٠. البلاذري، المصدر السابق، ٢٢١/١ . قدامة، المصدر السابق، ٣١٧ .
٢١. ٢١. المنبجي، اغابيوس بن قسطنطين : المنتخب من تاريخ المنبجي، تحقيق عمر عبد ا لسلام التدمري، دار المنصور، (طرابلس ١٩٨٦) ٨٢.واسكن الوليد الأرمن الذين نفاهم الروم الى ملطية .قدامة، المصدر السابق، ٣١٧-٣١٨ .
٢٢. الطبري، المصدر السابق، ١٣٠/٨، قدامة، المصدر السابق، ٣١٨ .
٢٣. البلاذري، المصدر السابق، ٢٢٢/١، المنبجي، المصدر السابق، ٩٢، الازدي، أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياس : تاريخ الموصل تحقيق علي حبيبة دار التحرير(القاهرة ١٩٦٧)،٢/ ٢٦ . قدامة، المصدر السابق، ٣١٨.
٢٤. قدامة، المصدر السابق، ٣١٨، المنبجي، المصدر السابق، ٩٢ ،.
٢٥. . البلاذري، المصدر السابق، ٢٢١/١.الطبري، المصدر السابق، ١٤٢/٩،١٧٠ . قدامة، المصدر السابق، ٣١٨، Chronographia Theophanes, de,de Boor . ..(Lipsiae 1883) p.489.
٢٦. قدامة، المصدر السابق، ٣١٩ .
٢٧. ابن خياط، المصدر السابق، ٦٢٦/١ . قدامة، المصدر السابق، ٣١٨.
. state (Oxford.Ostrogorsky. G. , History of the Byzantine
٢٨. قدامة، المصدر السابق، ٣١٨ .
٢٩. البلاذري، المصدر السابق، ٢٢٢/١، الطبري، المصدر السابق، ١٧٠/٩ . ابن الفقيه، المصدر السابق، ١١٤ .
٣٠. البلاذري، المصدر السابق، ٢٢٣/١. الطبري، المصدر السابق، ١٧٠/٩ .
٣١. الازدي، المصدر السابق، ١٧١/٢ .

٣٢. البلاذري، المصدر السابق، ١/٢٢٣ .
٣٣. الطبري، المصدر السابق، ٩/١٧٠ . قدامة، المصدر السابق، ٣١٧ .
٣٤. قدامة، المصدر السابق، ٣١٩ .
٣٥. ابن الفقيه، المصدر السابق، ١١٤ .
٣٦. العرافة، بناء ذو طابقين، تضم عشرة الى خمسة عشر رجلا، ابن الفقيه، المصدر السابق، ١١٤ . البلاذري، المصدر السابق، ١/٢٢٣ . وسماها المنبجي، المصدر السابق، بالخانات، ١٢٢.
٣٧. قدامة، المصدر السابق،٣١.
٣٨. قدامة، المصدر السابق، ٣١٩ . ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٤/ ٣٩٢. والمسلحة، ثغر أو مرقب فيه قوم في عدة، بموضع رصد قد وكلوا فيه بإزاء الثغر، ابن منظور، محمد بن مكرم، جمال الدين ابن الفضل : لسان العرب، .تصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب (بيروت ١٩٥٦)مجلد٢/١٧٩..
٣٩. قدامة، المصدر السابق، ٣١ .
٤٠. البلاذري، المصدر السابق، ١/٢٢٣ .
٤١. الطبري، المصدر السابق، ٩/١٧٠ :
٤٢. البلاذري، المصدر السابق، ١/٢٢٣ . الطبري، المصدر السابق، ٩/ ١٧٠ .
٤٣. قدامة، المصدر السابق، ٣١٩ .
٤٤. الطبري، المصدر السابق، ١٠/ ٧٢ .الجو مرد، عبد الجبار : هارون الرشيد دراسة تاريخية، اجتماعية، سياسية، (بيروت ١٩٥٦)،٢/٥٢٠ .
٤٥. الطبري، المصدر السابق، ١٠/ ١٨١ .
٤٦. . عن الدور الملحمي والأسطوري الذي أداه عمرو بن عبد الله الاقطع، ينظر : إبراهيم، نبيلة : سيرة الأميرة ذات الهمة، دراسة مقارنة، دار الكتاب (القاهرة د.ت)،٦٤ وما بعدها .
٤٧. المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس (بيروت١٩٨٢)، مجلد٢/٥٨٣
٤٨. الطبري، المصدر السابق،١١/ ٨٤ .
٤٩. ن . م، ١٠/ ٣٣٤ .

٥٠. عن النفوذ التركي، ينظر : فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسي في عصر الفوضى العسكرية، دار الطليعة (بيروت١٩٧٩) .
٥١. Ostrogorsky, op. cit. p. 217 .
٥٢. فتحي عثمان : الحدود الإسلامية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية (القاهرة ١٩٦٦) ٢/ ٢٢٥.
٥٣. الطبري، المصدر السابق، ١١/ ٥٥ .
٥٤. ن . م، ١١/ ٦٠ .
٥٥. ن . م، ١١/ ٨٤ .
٥٦. ن . م، ٩/ ٢٦١ .
٥٧. ن . م، ١١/ ٧٣ .
٥٨. ن . م، ١١/ ٧٣ .مسكويه، أبو علي احمد بن محمد : تجارب الأمم، نشر دي خويه، بريل (ليدن ١٨٧١) ٥/١٤٦ .
٥٩. الطبري، المصدر السابق، ١١/ ٢٣٢ .
٦٠. ن. م، ١١/ ٢٣٢ .
٦١. ن . م، ١١/ ٢٥٨ .
٦٢. ن . م، ١١/ ٤٠٦ .
٦٣. مسكويه، المصدر السابق، ٥/ ١٤٦_١٤٧ .
٦٤. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم، الدار الوطنية (بغداد ١٩٩٠)، ٦/٢٠١ .
٦٥. Theophanes Continuatus . ed. (Bonne 1838) p. 415- 16.
٦٦. سليمان، احمد عبد الكريم : المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط في القرن الثالث والسادس الهجري / التاسع والثاني عشر الميلادي، دار النهضة (القاهرة ١٩٨٢)، ٧٧ .
٦٧. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم : الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي (بيروت ١٩٦٧)، ٦/ ٢١٧ .
٦٨. ن . م، ٦/ ٢١٧ .
٦٩. سليمان، المرجع السابق، ٧٨ .
٧٠. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ٥/ ١٩٢ .
٧١. Ramsay , op. cit. p. 82-83.